مكتبتى ٤١

صندوق نعمة ربنا

تأليف : يعقوب الشارونى
رسوم : أحمـــد أمـين

دار المعارف

obeikandl.com

رقم الإيداع	٢٠٠٢/١١٤١٤
الترقيم الدولى	ISBN 977 – 02- 6331 – 1

٧/٢٠٠٢/٢٩

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع)

obeikandl.com

تصميم الغلاف: **محمد أبو طالب**

الناشر دار المعارف- ١١١٩ كورنيش النيل- القاهرة: ج.م.ع

obeikandl.com

دخل الصبى مكتب مديرة المدرسة يصرخ. وقفزت المديرة مندفعة ناحيته، وقد رأت الدم الأحمر بغمر رأس التلميذ الصغير ووجه وكل ملابسه.

صاحت المديرة فى جزع شديد: هل وقعت؟! .. أين الطبيب؟.. أسرعوا اطلبوا الإسعاف!!

وفى نفس اللحظة، شاهدت المديرة أبلة بدرية مدرسة التربية الرياضية، تدخل وهى تجذب خلفها صبياً فى العاشرة من عمره، وقد قبضت على ذارعه بقوة، وهو يحاول أن يتملص منها!

وعادت المديرة تصيح، وهى تشير إلى ذلك الصبى الأكبر: هل أنت أيضا الذى فعلت هذا يا عاصم؟ ثم أضافت: طبعًا!! من غيرك؟!!

واندفعت أبلة بدرية تقول للمديرة: تصورى يا أبلة سميحة.. عاصم يمسك علبة الصلصة ويصبها كلها على رأس زملائه الصغار وملابسهم!!

***

تجمدت ملامح وجه المديرة من المفاجأة، ثم أشارت بيدها إلى اللون الأحمر على وجه وملابس الصبى

obeikandl.com

الصغير، وقالت فى دهشة بالغة: صلصة!! وما الذى جاء بالصلصة إلى المدرسة؟

ثم التفتت إلى عاصم تسأله فى عنف:

هل سبق أن رأيت تلميذا فى المدرسة يحضر معه علبة صلصلة؟!.

وفى براءة قال عاصم: بالأمس كنا نقرأ فى المكتبة قصة الأميرة والأقزام السبعة.

صاحت المديرة: لا تحاول أن تخلط الأمور..ما علاقة الأميرة بالصلصة؟!

قال عاصم: الصياد أشفق على الأميرة، وتركها فى الغابة. ثم ضحك على عقل الملكة وأقنعها أنه قضى على الأميرة، عندما لوث جزءاً من ملابس الأميرة بدم غزالة اصطادها.

هنا تنبهت المديرة أن الصبى الصغير الملوث بالصلصة مازال يقف فى غرفتها، فقالت لأبلة بدرية: حاولوا تنظيف هذا الصبى، وسأعرف كيف أعاقت هذا المشاغب حتى يتوقف الصداع الذى يسببه لنا كل يوم.

obeikandl.com

وانصرفت أبلة بدرية بالصبى الصغير وهى تتمتم فى غضب: طلبنا من المديرة أكثر من مرة أن تفصل عاصم، هذا التلميذ الفظيع، فلم توافق على ذلك حتى الآن!!

***

وقبل أن تضيف المديرة كلمة أخرى، كان عاصم يقول: كنا سنقوم اليوم بتمثيل قصة الأميرة والأقزام، وأردت أن أمثل دور الصياد ومعه قطعة ملابس الأميرة التى صبغها الدم، ولم أجد أفضل من الصلصة للقيام بهذا الدور!!

وفوجئت المديرة بهذه الإجابة، وهى تتذكر الحوادث اليومية التى يرتكبها عصام، وتظل المدرسة تتحدث عنها أيامًا بل أسابيع.

***

فمنذ يومين دخل مدرس الحساب وهو يجذب خلفه "عاصم" ويقول صارخًا: ماذا أفعل مع هذا الشيطان؟! ضاعت معظم الحصة بسببه.

وعندما سألته المديرة عما حدث، قال: عندما بدأت حصة الحساب بعد الفسحة، طلبت من التلاميذ أن.

obeikandl.com

يخرجوا من حقائبهم كراسات واجب الحساب. وفوجئ كل تلميذ أن الكراسى الذى في حقيبته، وهو كراس زميل آخر، وضاعت الحصة كلها، إلى أن استعاد كل تلميذ كراسته الخاصة به.

قالت المديرة فى دهشة: وكيف حدثت أن انتقلت الكراسات من حقائب أصحابها؟

عاد المدرس يصيح، وهو يجذب أذن عاصم بقوة: الكراسات ليس لها أرجل تنتقل بها من حقيبة إلى أخرى، لكن "عاصم" استغل وقت الفسيحة، فنقل الكراسات!!.

ازدادت دهشة المديرة وغضبها، وهى تسأل "عاصم": هل فعلت هذا حقاً يا عاصم؟

قال عاصم: كنت أقوم بتجربة جديدة!!

هنا صاح المدرس: تجربة جديدة معى أنا، وأنت لم تخرج بعد من البيضة؟!

قال عاصم: حضرتك رفضت أن تسمع بقية ما أقول.

هنا سألت المديرة "عاصم" فى حدة: وهل عندك شئ آخر تقوله؟!

obeikandl.com

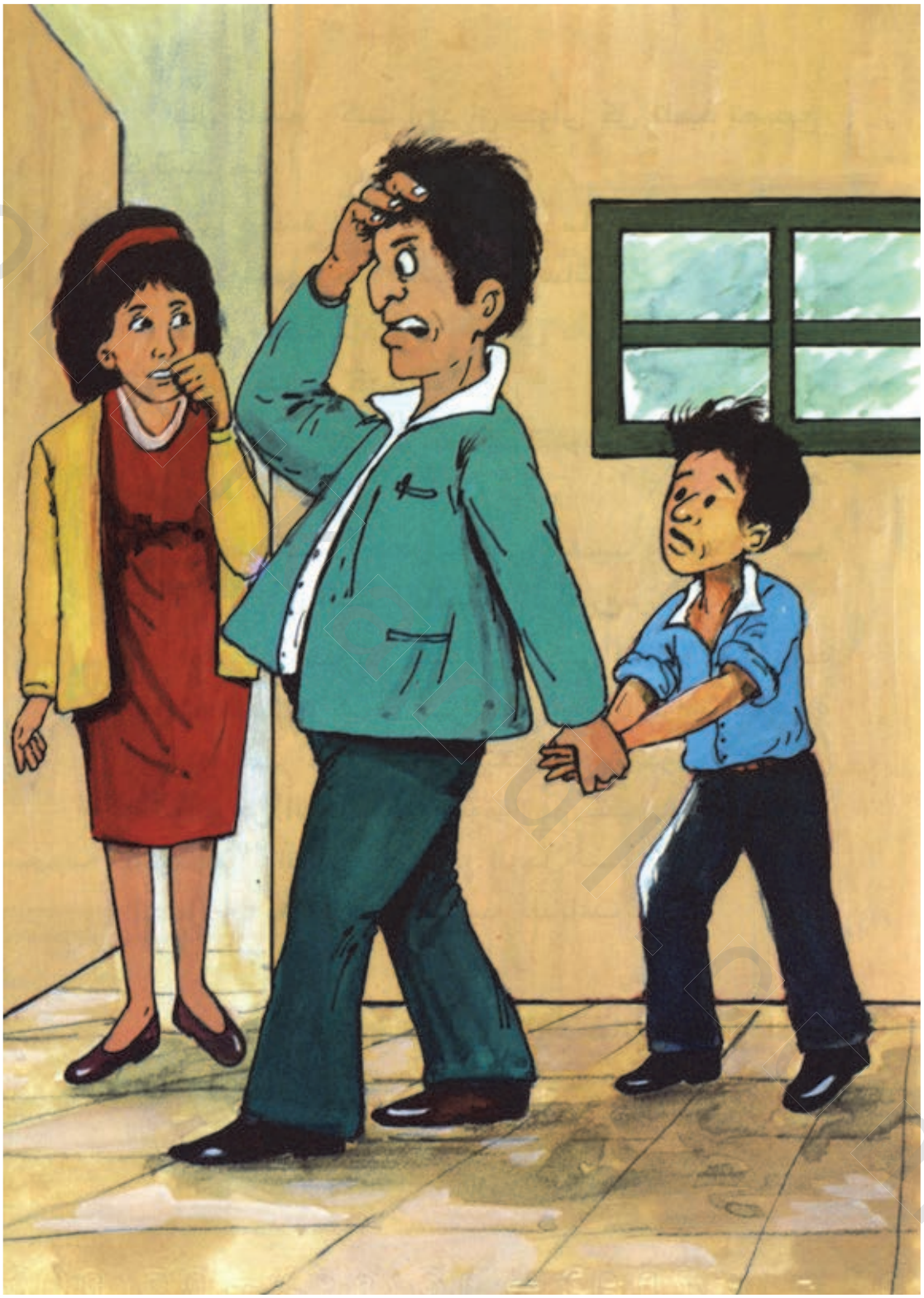

قال عاصم: كنت أريد أن يتولى كل تلميذ تصحيح كراسة زميله!

وفى دهشة قالت المديرة فى تأكيد: لكن أساتذة الحساب يقومون هم بتصحيح كراساتكم!!

عندئذ سكت عاصم، واكتفى بأن وجه نظرة فيها اتهام إلى مدرس الحساب!

وفى نفس الوقت، سكت مدرس الحساب، فلم يقل شيئًا.

ونقلت المديرة بصرها بين التلميذ ومدرسه، ثم سألت: ما هى الحكاية بالضبط؟! أخبرونى.

هنا عاد المدرس يصيح، (لكى لا يعطى فرصة لعاصم ليشرح كيف يترك المدرس الكراسات عدة أسابيع غير تصحيح): كيف يفهم هؤلاء الصغار الصواب من الخطأ، لكى يقوموا هم بتصحيح كراساتهم بأنفسهم؟! أنا لن أستطيع العمل بعد اليوم فى هذا الفصل إذا ظل به هذا التلميذ المشاغب!!

***

أما مدرس اللغة العربية، فقد جاء يدفع التلميذ "عاصم" أمامه، وقد أمسك بيده كراسة الواجب المنزلى، وهو يقول:

obeikandl.com

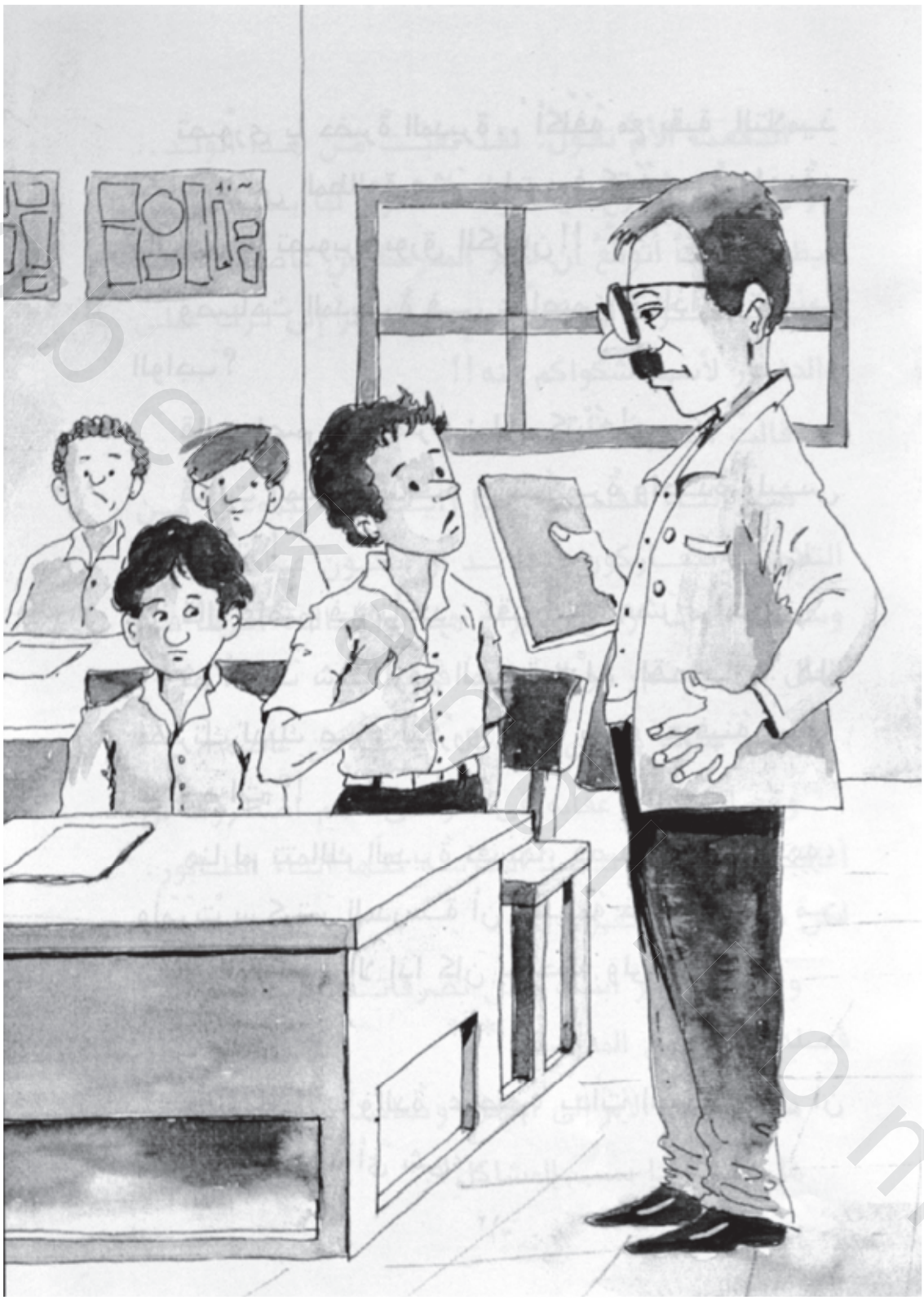

تصورى يا حضرة المديرة... أكلفه مع بقية التلاميذ بكتابة درس المطالعة عشر مرات، فيكتبه مرة واحدة، والباقى تم تصويره بورق الكربون!!

وصاحت المديرة في عاصم: لماذا لم تكتب الواجب؟

قال عاصم فى إصرارٍ: لقد كتبته!

قالت المديرة: لقد كتبته مرة واحدة وليس عشر مرات!

قال عاصم فى تأكيد: لقد كتبته عشر مرات!

ثم أضاف شيئًا أزعج المديرة جدًا.. لقد قال: هل حضرتك لديك صبر، لتكررى كتابة شئ تعرفينه جيدًا، عشر مرات؟!

هناك لم تتمالك المديرة نفسها، فصفعته على وجهه، وأمرت سكرتير المدرسة أن يسلمه خطابًا بمنعه من دخول المدرسة، إلا إذا كان بصحبته ولى أمره.

***

وعندما جاءت والدة عاصم، بدأت الحديث قبل أن تقول لها المديرة أى شئ.

obeikandl.com

اندفعت الأم تقول: لقد تعبت من هذا الولد..طوال النهار أصرخ فيه، وأشد شعرى لما يسببه لى من غيظ.. كنت أتوقع أن تغير المدرسة من عاصم، لكن ها أنتم تشكونه لى كل يوم، وأضطر إلى ترك عملى والحضور لأسمع شكواكم منه!!

قالت الأميرة للأم:

فى أثناء الفسحة، إذا رأيت أية مجموعة من التلاميذ يتعاركون، فلا بد أن يكون عاصم فى وسطهم. وإذا ارتفع صراخ هنا أو هناك، أعرف فى الحال أن "عاصم" هو المتسبب فيه.

ليس هناك مدرس واحد إلا ويشكو من عاصم.

وقد لجأت إلى عقابه فى غرفتى، ثم اضطررت أن أعاقبه علنا أمام تلاميذ المدرسة كلها أثناء الطابور. لكن سلوكه لم يتغير.

وإذا لم يغير ابنك من تصرفاته، سأضطر إلي فصله نهائيًا من المدرسة.

هنا التفتت الأم إلي ابنها، وصاحت فيه:

هل تسمع يا سبب المشاكل؟..

obeikandl.com

سيطردونك من المدرسة.. ستصبح إنساناً لا قيمة له!

ثم التفتت إلى المديرة وأضافت:

نعطيه فرصة أخرى، بل امنحنى أباه وأمه فرصة أخرى.

***

وجلست أبلة سميحة مديرة المدرسة فى غرفتها تحدث نفسها فى هدوء. كانت تقول:

اشتغلت بالتدريس للأطفال وصغار التلاميذ، ثم أصبحت مديرة لهذه المدرسة. وقد انقضى على عملى بالتعليم ثلاثون سنة، لم أتسبب خلالها مرة واحدة فى فصل تلميذ من تلاميذى فصلا نهائياً من المدرسة.

لكننى الآن أمام حالة لا أجد لها أى حل.

كيف، بعد هذا العمر الطويل، وبعد هذه الخبرة المتميزة، أجد نفسى عاجزة عن التعامل مع صبى صغير عمره عشر سنوات؟

إن هذا التلميذ ليس غبيًا ولا كسولاً، بل هو أقرب إلى الأذكياء! لكن أى ذكاء هذا الذى يستخدمه دائماً

obeikandl.com

فى الشر، وفى خلق المشكلات، وإيذاء الآخرين، وإثارة غيظ المدرسين وغضبهم، مع مضايقاته المستمرة لمن هم أصغر منه سنًا؟

إنه لا يخشى العقاب، بل أشعر أحيانًا أنه يسخر منا ونحن نعاقبه.

***

وفى تلك اللحظة، وقعت عينا المديرة على صندوق من الكرتون تحتفظ به فى غرفتها، كانت تضع فيه الأشياء الضائعة من التلاميذ، إلى أن يسأل عنها أصحابها، فتعديها إليهم.

ونظرت من نافذة غرفتها، تراقب الفناء وقد امتلأ بالتلاميذ أثناء "فسحة" الساعة العاشرة صباحاً.

وفجأة خطرت لها فكرة، فضغطت على زر الجرس المجاور لها.

وعندما دخلت "دادة زينب" سألتها:

أجابت دادة زينب: "ومن لا يعرف سبب كل المشاكل!".

obeikandl.com

obeikandl.com

قالت لها المديرة: "اذهبى، وابحثى عنه فى الفناء، وأحضريه لى".

سألت دادة زينب فى فضول: "ومن الذى اشتكى منه هذه المرة؟".

قالت لها المديرة فى حزم: "قلت لك اذهبى، وتعالى وهو معك".

وخرجت دادة زينب، ووقفت فوق درجات السلم التى تواجه الفناء، وتطلعت هنا وهناك، إلى أن وقعت عيناها على معركة تدول فى أحد جوانب الفناء. وفى ضوء خبرتها السابقة، نزلت السلالم،واتجهت ناحية المتعاركين.

وكما توقعت، وجدت "عاصم" فى وسطهم.

وفى حدة نادته دادة زينب قائلة:

"عاصم.. تعال..... المديرة تطلبك".

وفى الحال توقفت المعركة، والتف كل المشاركين فيها حول عاصم.

صاح عاصم فى احتجاج.

نحن نلعب، وما اشتكى منا أحد!

قالت دادة زينب، وهى تمسك ذراع عاصم بقوة:

obeikandl.com

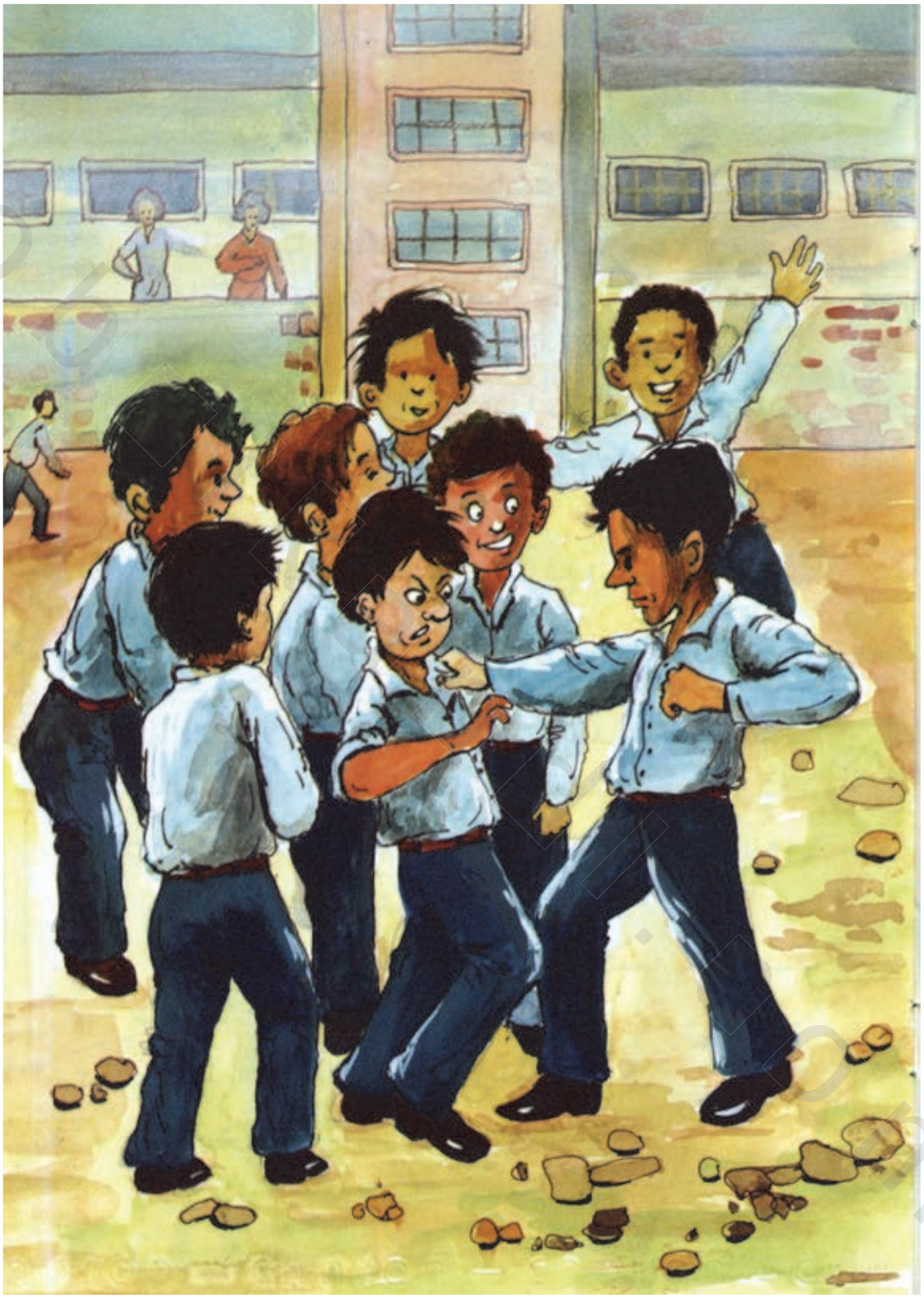

المديرة تريدك الآن.. هيا معى.

ولم تهتم دادة زينب باحتجاجات عاصم، كان يقول:

هل كلما حدث شئ فى المدرسة، لا يجدون إلا "عاصم" ليتهموه؟! أنا ألعب مثل بقية التلاميذ!!.. لماذا لا تتحملون لعبى أنا فقط؟!

لكن دادة زينب جعلت أذنا من طين وأذنا من عجين، وواصلت جذب عاصم بحزم وإصرار إلى غرفة المديرة.

وعندما اجتاز عاصم باب الغرفة، أسرع يقول:أنا لم ارتكب خطأ!!

لقد كان عاصم يعرف أنه لا يدخل إلى غرفة المديرة، إلا ليتلقى عقاباً قاسيًا بعد أن يسمع كلامًا أقسى، مع تفاصيل الشكاوى المقدمة ضده.

لكن "عاصم" فوجئ هذه المرة بالمديرة تقول له:

ليس هناك أية شكاوى ضدك اليوم.

وكانت دهشة عاصم أشد من دهشة دادة زينب عند سماعها هذه العبارة من المديرة!

هنا التفت المديرة إلى زينب وقالت:

اخرجى يا دادة، وأغلقى الباب خلفك.

obeikandl.com

وخرجت زينب، وعاصم يصيح مرة أخرى:

أنا لم أفعل أى شئ اليوم!!

قالت المديرة فى صوت هادئ:

وأنا لم أطلبك اليوم لأنك فعلت أى شئ غلط.

وكانت لهجة المديرة غريبة بالنسبة لما اعتاد عاصم أن يسمعه منها، فلم يجب بشئ، وانتظر ليسمع باقى كلامها.

قالت المديرة:

أنت ترى التلاميذ الصغار يأكلون ما معهم من "ساندوتشات" أثناء الفسحة.

قال عاصم:

عدد كبير منهم يفعلون ذلك، لكننى لا أخطف طعام أحد!!

أنا لم أتهمك أنك فعلت أى شئ خطأ.. استمع إلى بقية كلامى.

وانتظر عاصم ليسمع

قالت المديرة:

أنت تعرف أن الخبز هو "نعمة ربنا" وهؤلاء الطفل الصغار لا يعرفون قيمة هذه النعمة.

obeikandl.com

وفى سرعة أجاب عاصم:

الصغار لا يعرفون قيمة أشياء كثيرة!

وتوقفت المديرة، وقد أدهشتها صياغة العبارة التى قالها عاصم، ثم أكملت:

وأنت ترى التلاميذ الصغار يلقون بقايا الخبز فى فناء المدرسة.

قال عاصم: "وهذا شئ غلط".

قالت المديرة، وفى ذهنها صورة "العصابة" التى يقودها عاصم:

ما رأيك أن تقنع مجموعة أصحابك، أن تجمعوا من أرض الفناء "نعمة ربنا" التى يلقيها الصغار من بقايا طعامهم، لكى نقدمها للبط والدجاج الذى نربيه فى حظيرة المدرسة؟"

وامتلأ عاصم بالدهشة، فلأول مرة يجد نفسه فى غرفة المديرة، لا للتحقيق معه، ولا لجذب أذنه أو ضربه بالعصا، ولا لتسليمه خطاباً لحضور ولى أمره، بل لتكليفه بعمل يقود فيه مجموعة أصدقائه!

وعندما استوعب عقله معنى كلام المديرة، سأل: وهل هناك وعاء نجمع فيه نعمة ربنا؟

obeikandl.com

هنا أشارت المديرة إلى الصندوق المصنوع من الورق المقوى، الموضوع على رف خلف كتفها،

وقالت لعاصم:

أحضر لى هذا الصندوق.

ومرة ثانية امتلأ عاصم بالدهشة، فلم يسبق لأحد فى المدرسة أن وضع ثقته فى عاصم، ليحضر له أى شئ من أى مكان!!

كانوا يعرفون أنه عندما يذهب ليحضر أى شئ، لابد أن يخفى شيئا أخر بجواره، أو يفسد شيئًا، أو يحطمه!!

لقد أدرك عاصم، أنه لأول مرة، تضع المديرة ثقتها فيه.

***

وفى ثبات، تحرك عاصم إلى الرف.

وبطرق عينه، لاحظ أن المديرة لم تلتفت ناحيته، ولم تحاول أبدًا أن تراقبه!

وأحضر عاصم الصندوق بسرعة، بغير أن يمس أى شئ من الأشياء الكثيرة الجذابة التى كانت تجاوره فوق الرف.

obeikandl.com

قالت له المديرة:

"الباقى من الفسحة عشرة دقائق، تستطيع خلالها مع أصحابك أن تجمع معظم بقايا الخبز التى ألقى بها زملاؤك فى الفناء".

قال عاصم فى حماس:

قبل أن تنتهى الفسحة، سنكون قد جمعنا كل لقمة.

وأمسك عاصم الصندوق بين يديه وهو يخرج، وقد أحس بشئ جديد يسرى فى كل تفكيره وعقله وإحساسه.

***

وقبل أن يدق جرس نهاية الفسحة، كان عاصم يدخل غرفة المديرة، ويقدم إليها الصندوق وقد امتلأ إلى نصفه ببقايا قطع الخبز، وهو يقول:

سيأكل البط والدجاج حتى يشبع، فلم نترك قطعة واحدة على أرض الفناء.

***

وبعد لحظات دق جرس نهاية الفسحة، ووقف كل أطفال المدرسة فى طوابير منتظمة، تمهيدًا لدخولهم إلى الفصول.

openkandil.com

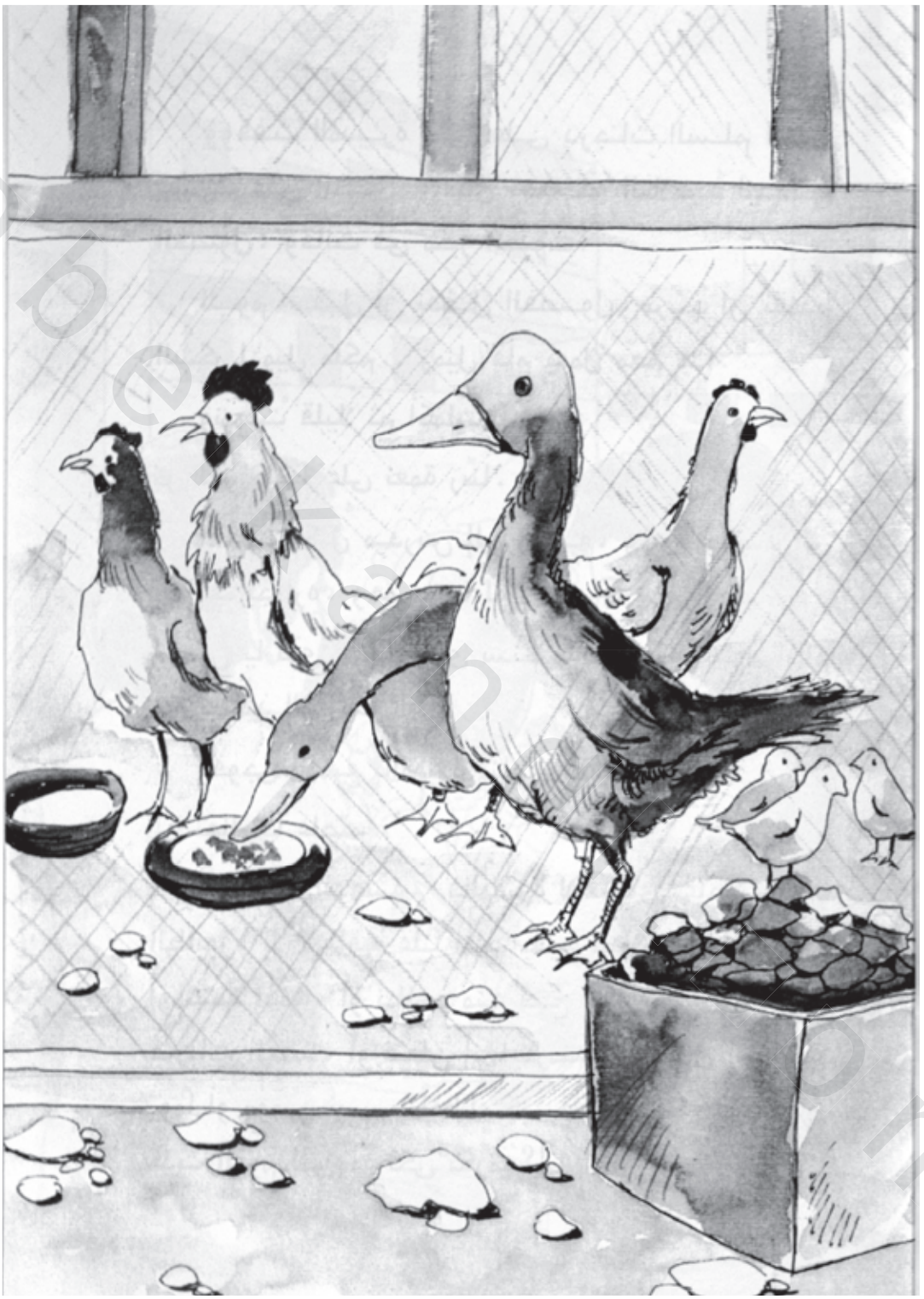

ووقفت المديرة فى أعلى درجات السلم الذى يشرف على الفناء، والذى يصعده التلاميذ ليدخلوا الفصول، وقالت فى مكبر الصوت:

اليوم.. قبل أن ندخل الفصول، نريد أن نقدم الشكر لزميل منكم.. زميل قام بعمل مهم جدًا.

وتمهلت قيلاً ثم أكملت:

لقد حافظ على نعمة ربنا

وتلفت كل مدرس إلى زميلته، وكل تلميذ إلى الواقف بجواره، وهم يتساءلون:

من يا ترى هذا الذى ستكرمه المديرة اليوم أمام كل تلاميذ المدرسة؟!

وفوجئ الجميع بالمديرة تنادى قائلة:

تعال يا عاصم.

وازدادت الدهشة، فالمديرة لا تنادى "عاصم" أمام الطابور، إلا لتعاقبه علنًا أمام بقية التلاميذ: تصفعه، أو تشد أذنه، أو تطلب منه فتح يده ليتلقى بعض ضربات العصا، أو لتعلن أنها حرمته من دخول المدرسة يومًا أو يومين بسبب أخطاء كبيرة ارتكبها، فما الذى حدث اليوم لتناديه لكى تكرمه؟!

obeikandl.com

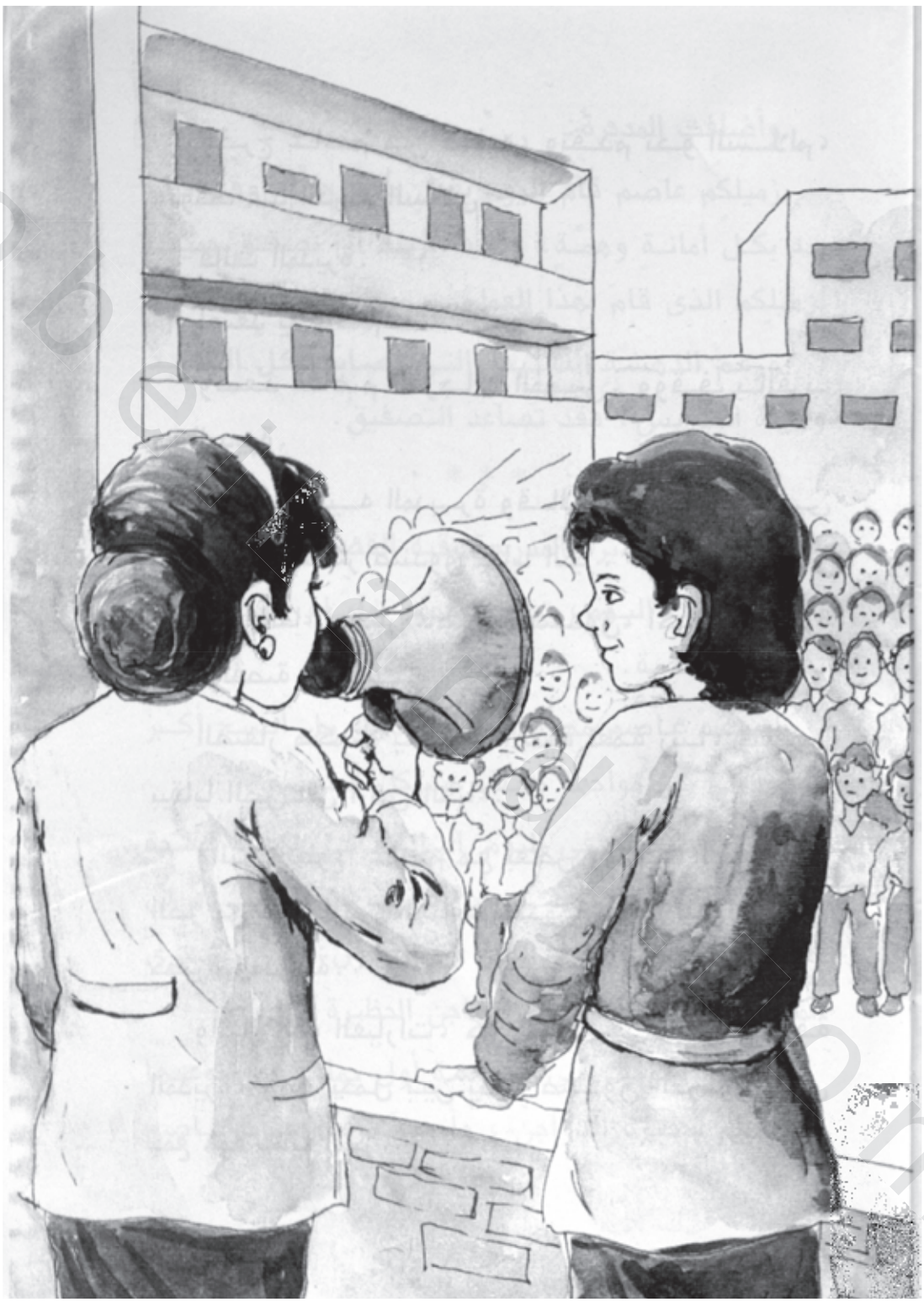

وخرج عاصم من صفه، وتقدم نحو السلالم،وتوقف عند الدرجة السفلى.

قالت المديرة:

اصعد يا عاصم.

وصعد عاصم الدرجات الخمس، ووقف بالقرب من المديرة.

التفتت إليه المديرة وقالت: داخل غرفتى يا عاصم، وأحضر صندوق بقايا الخبز.

وفى أثناء إحضار عاصم للصندوق، أكملت المديرة بقية القصة، وقالت:

الصغار منكم لا يعرفون أهمية نعمة ربنا، فيلقون ببقايا الخبز على أرض الفناء. واليوم تطوع عاصم مع بعض زملائه، لجمع بقايا الخبز من فوق أرض الفضاء، لنقدمها طعامًا للدواجن فى حظيرة المدرسة.

وأثناء هذه العبارات، كان عاصم قد عاد من غرفة المديرة، وهو يحمل بين يديه صندوق الكرتون الذى جمع فيه بقايا الخبز.

obeikandl.com

وأضافت المديرة:

زميلكم عاصم قام اليوم بعمل مهم جدًا، وقد قام به بكل أمانة وهمة، نريد أن نصفق جميعًا لزميلكم الذى قام بهذا العمل.

ورغم الدهشة الشديدة التى أصابت كل التلاميذ وهيئة التدريس، فقد تصاعد التصفيق.

***

وتحكى لنا مديرة المدرسة بقية القصة فتقول:

منذ ذلك اليوم، تغير عاصم تمامًا،كأنه ليس نفس الشخصية.

لم يعد عاصم مجرد تلميذ عندى، بل أصبح أكبر مساعد لى فى مواجهة مختلف مشاكل المدرسة.

لقد فوجئت به فى اليوم التالى، فى نهاية فسحة الساعة العاشرة، وبغير أن أطلب منه، يقدم لى صندوقًا مملوءًا بقطع الخبز وهو يقول: لن تشترى المدرسة بعد اليوم طعامًا لدواجن الحظيرة!

وهكذا تكونت فى المدرسة أول جماعة من نوعها "للاهتمام بحظيرة الدواجن" ، وأصبح من واجبات عاصم

obeikandl.com

التى ألزم نفسه بها مع أصحابه، إطعام الدواجن كل صباح.

كذلك أصبح هو الذى يقود جماعة الإسعاف، فأصبح صغار الأطفال يبحثون عنه عندما يقع لزميل لهم حادث، ليعاونهم فى نقله إلى العيادة الطبية، أو حتى لإحضاره لى.

وفى البداية، فإن أبلة شكرية، مدرسة الفصل، قابلت فكرة انضمام عاصم إلى جماعة الإسعاف، بمعارضة شديدة. قالت:

هل تظنين أن من ينجح فى جمع بعض قطع الخبز من أرض الفناء، يمكنه أن يحس بالمسئولية عن سرعة إسعاف طفل مصاب؟ أنا لا أريد متاعب فى جماعة الإسعاف، تنهال بسببها الشكاوى فوق رأسى نتيجة تصرفاته كل يوم!

قالت المديرة: هذا الصبى عنده إمكانات كبيرة، فى التفكير والتخطيط والتنفيذ وتحمل المسئولية وإذا لم نقدم له الفرصة ليستخدمها، فلا بد أن يجد طريقاً منحرفًا للتنفيس عن طاقاته التى نهملها ولا نعترف بها.

obeikandl.com

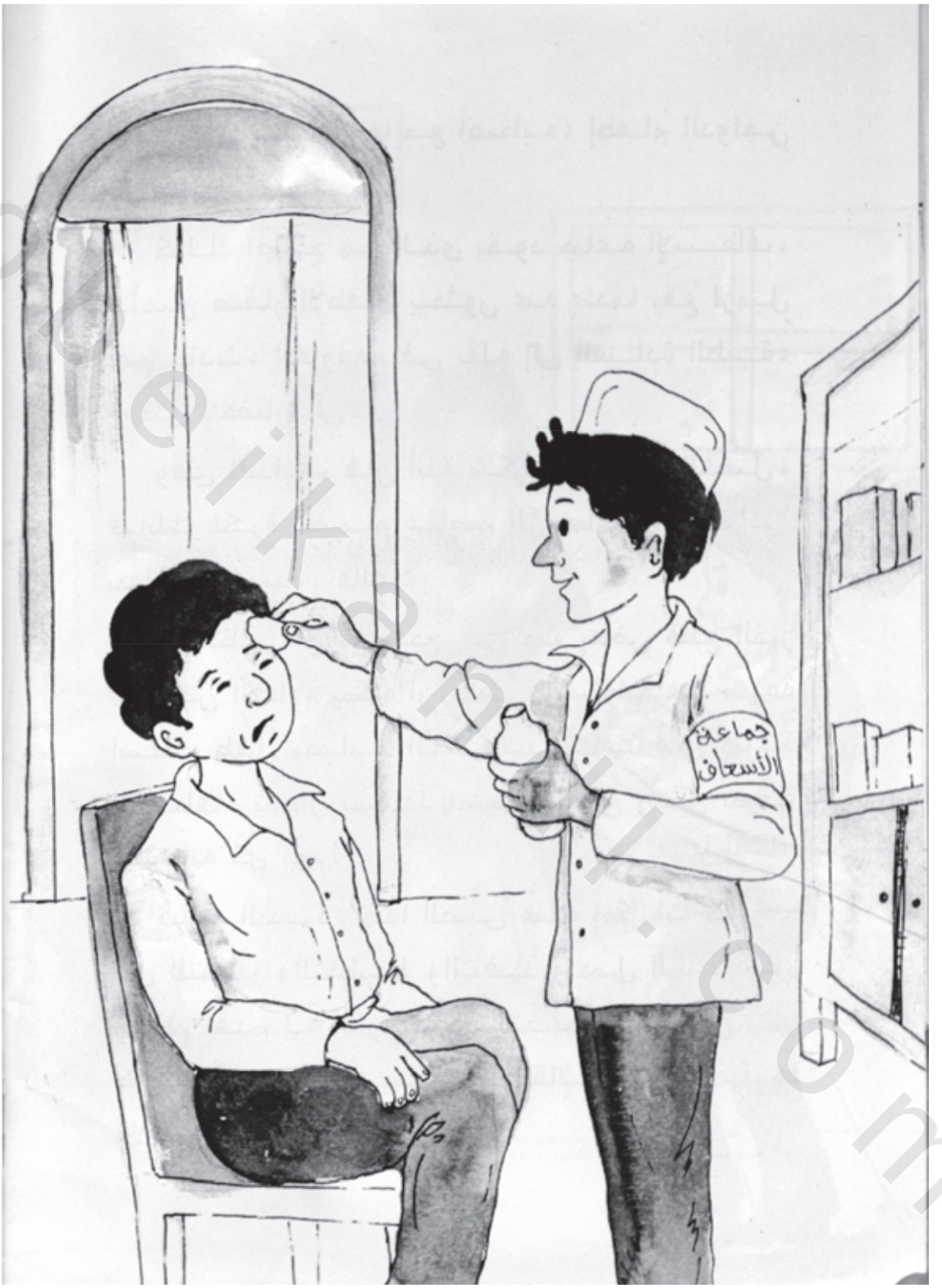
جماعة
الأسعاف

وبعد أيام، أصبحت ليلة شكرية أكثر حماسًا من المديرة، لإنضمام عاصم إلى جماعة الإسعاف.

***

وتضيف مديرة المدرسة:

ثم أصبح عاصم رئيسًا أيضا لجماعة حماية البيئة، فحصلت المدرسة على الجائزة الأولى فى النظافة والمحافظة على البيئة.

ولم نعد نرى حنفية مفتوحة فى دورة المياه، أو نافذة غير مغلقة بعد وقت الدراسة. كما واظب على المعاونة فى رى أحواض الورد والنباتات.

بل بدأ يقترح أنشطة متعددة، كان من أهمها إنشاء نادى للعلوم فى المدرسة. وأصبح يقضى معظم وقت الراحة بين الحصص الدراسية فى إجراء التجارب، داخل المعمل الصغير الذى أنشأة مدرسو العلوم، فى الغرفة التى كان المفروض أن تكون "مطبخ" المدرسة، والتى استطعنا أن نزودها "بميكروسكوب" و "ميزان

obeikandl.com

حساس"، وبعدد من الأدوات والمواد اللازمة لإجراء التجارب الكيميائية البسيطة".

وأضافت المديرة: يقول بعض المدرسين، إن "عاصم" قد تغير.

أما أنا فأقول: "نحن الذين تغيرنا".

عاصم فتى متوقد الذكاء، شديد الحيوية، تتدفق من عقله الأفكار الجديدة، وهو قادر على استيعاب المواد الدراسية بسرعة وكفاءة، لكننا كنا نواجه مواهبة وقدراته باتهامه انه مخرب ومقلق وشقى ومهمل ومفسد، لذلك كان يحاول أن يثبت ذاته، حتى إذا كان من نتيجة ذلك أن يتعرض لتأنيبنا وعقابنا، أو يبدو مهملاً فى دراسته.

***

وتختتم المديرة حكايتها قائلة:

وقد نجح عاصم بتفوق فى امتحان الشهادة الإعدادية، وواصل تعلميه، وقد أصبح الآن أستاذًا فى كلية الطب، ومن أشهر الأطباء فى مصر.

"لن أنسى" صندوق نعمة ربنا... كان السبب فى المصالحة التى حدثت بينى وبين المجتمع.

obeikandl.com

وكانت المديرة تجيبه: "بل كان النافذة التى استطعنا أن نطل منها على حقيقة شخصيتك وقدراتك المتميزة".

obeikandl.com